

# الفرقة الناجية

أما بعد، فقد اعتقاد الفرفة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة: أهل السنة والجماعةُ الشَّرعُ \* فوله: \* (أما بعد،) هي كلمة يؤتى بها للالتفات من أسلوب إلى أسلوب آخر، ويؤتى بها في الغالب بعد مقدمة الخطب ويحدها. \* فوله: \* (فهذا) إشارة إلى الشيء الذي تصوره في ذهنه، وعزم على إلقائه، يعني: على فاصي واسط وعلى علية، ثم على كائنه. \* فوله: \* (اعتقاد) هو ما يعقد عليه الشخص يدين به، والاعتقاد في اللغة مشتق من العقد الذي هو إتيان الشيء وإحكامه وتقويته، أما في الاصطلاح: فهو التصميم الحازم الذي ينشأ عن التصديق الحازم الذي لا يقبل الشك. \* فوله: \* (الفرفة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة)، وصفهم بثلاث صفات هي: الأولى: أنهم ناجون، والثانية: أنهم منصرون إلى قيام الساعة، والثالثة: أنهم أهل السنة والجماعة. الفرفة: تكسر الفاء يعني: الطائفة من الناس، وذلك إشارة إلى فلتهم بين الحازم، وإن الذين حولهم متفرقون عن ذلك. فإن أهل السنة في كل زمان هم الأقلون، ولذلك شكَّوا فرفة، وقد أحرر النبي -صلى الله عليه وسلم- بذلك في الحديث المنصور: { لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من حولهم حتى يأتي أمر الله تعالى وهم كذلك } أخرج مسلم برقم (1920) في الأمانة.
إن فوله -صلى الله عليه وسلم-: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين"، عن نوحان رضي الله عنه.
الناجية أي: من بين الفرق الهالكة الذين تكرم النبي -صلى الله عليه وسلم- في فوله: \* ومنصرفون أصح على ثلاث وسبعين فرفة كلها في النار إلا واحدة، فالإدب: من هي يا رسول الله! قال: الجماعةُ { وفي رواية: { من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي } وأحدثت له روايات أخرى، وهو حديث حسن صحيح، وسُميت ناجية؛ لأنها تنجو من الشرك والباطل والمعاصي وفي الأدب، ويحوي في الآخرة من العذاب المنصورة إلى قيام الساعة، أي: الملويدة على من جالهاها بالجنة والباقيان إلى النار. والثالث: الأعمال المسحوبة أو التي يات وأعمالها ولا يعاقب نازكها، والقصود بها هنا هي الطريقة المحمدية التي قال فيها -عليه الصلاة والسلام-: { من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي } . الجماعة أي: المتصوفة على الحق، ولو كانوا قبلا بالنسبة إلى غيرهم، ولو كنز أعداؤهم وحصومهم، هؤلاء هم أهل السنة. يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى- في النونية انظر الكافية الشافية لابن القيم (النونية) ص 119 . الأيمان رافم (1328 . 1329 . 1330). وهذا وسادسٌ عشرها إجماع أهـ الحَقِّ أعني شعبة البرهان من كل صاحب سنة شهدت له أهل الحديث وعسكر القرآن لا غيره بحالهم لهم ولو كانوا عبدَ الشاء والعران فقد يوجد من يخالف في كثير من الأمانة، ولكن لا غيره بهم، وكما قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: " الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذٍ ". ولهذا لم يفتخر هذه الفرفة كما افتخر أهل البدع، فأهل البدع كالجهمية متفرقون، واعتزلة متفرقون، وغيرهم لهم ليس على الحق متفرقون، أما أهل السنة والجماعة فهم دائما مجتمعون حتى وإن حصل بينهم خلاف فإنه خلاف لا يؤثر ولا يضر؛ بل يغير بعضهم بعضا حيث إنه خلاف لا بدليل، ولا يضل بعضهم بعضا، فتتسع صيوره لهذا الخلاف. فأهل السنة والجماعة هم فأهل الذين اعتقدوا واعتقدوا على ما جاءهم عن الله وعن رسوله، وتقلوه بدون تردد، ولم يغيروا ولم يتبدلوا سنة من ذلك، ولم يتعدوا، ولم يجعلوا مرجعهم الأول والأخير هو العقل. بل جعلوا ما جاء في الكتاب والسنة وهو الحكم وهو المرجع وردوا ما خالفه، ويدخل في أهل السنة والجماعة: الصحابة، فإنهم أئمة أهل السنة والجماعة، فإنه لم يظهر فيهم ولا بينهم بدعة. ويدخل فيهم أيضا: جل أتباعهم، وهم تعبدت المحلاة إلا من أحرقت كالجوارح الذين قتلهم على رضي الله عنه، وهم كتاب أهل النار لحديث عبد الله بن أبي أوفى -رضي الله عنه-، قال: "قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "الجوارح هم كلاب النار"، أخرج ابن ماجه برقم (173)، وأحمد في المسند (4/ 355)، والظناني في التكميل (8/ 324)، وابن أبي عمير في السنة (2/ 438)، وانظر المشكاة للأمامي (3554)، والسنة لابن أبي عمير (904) و (905)، وكأقصدية مجوس هذه الأئمة، والجمعة، وإن ذلك الوقت، ويدخل فيهم أيضا: جل أتباع التابعين، فإن أتباع التابعين -عائلة- كلهم متمسك بالكتاب والسنة، وقد كانوا في القرن الثاني، وأثر أقل منهم القرن الثالث. ويدخل فيهم أيضا: الأئمة الأربعة: الإمام أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد هؤلاء كلهم داخلون في مسمى أهل السنة والجماعة، بل هم أئمة السنة، ويدخل فيهم أيضا الأئمة المتأخرين وهم، وهم علماء الأمة، الذين استنبطت كتبهم وبلغها المسلمون الفحول، كالإمام البخاري صاحب الصحيح، والإمام مسلم صاحب الصحيح، والإمام ابن دؤاد صاحب السنن، والإمام الترمذي صاحب السنن، والإمام النسائي صاحب السنن، والإمام ابن ماجه صاحب السنن، وغيرهم كثير من أصحاب الكتب المعروفة، ولما يمدحهم ويشايخهم، كل هؤلاء من أهل السنة. ثم بعد ذلك في أكثر القرن الثالث وما بعده، حيث أصوات السنة وصوتت، وانتشرت البدع، وظهر المبتدعة، وراحت أسوأهم، فظهرت عقالة حنينة وانتشرت في الظاهر، أما السلف فطربوا عن الخوص في معانيها وقرءوها كما جاءت وأقصوا على ما جاءت عليه، بدون التعرض لتكليفها ولا تنهياتها ولا تأويلها، ويريدون مطابقة الخلف الخوص في معانيها وتخريفها (وسميتموه تأيلا)، فزعموا إن الخلف أولوا حتى حلفوا على حامل منتشرة في الظاهر، وأن السلف طربوا عن الخوص في معانيها وقرءوها كما جاءت وأقصوا على ما هي عليه، فيقولون: الأيمان بالآيات وأجابت الصفات على ما جاءت عليه، بدون التعرض لتكليفها ولا تنهياتها ولا تأويلها، والخلف أعلم وأكمل؛ حيث أتوا من العلم ما أزالوا به الشبهة وردوا على الحالفين والجواب عن ذلك بأن يقال: إن طريقة السلف أسلم وأكمل واحكم، فإن السلف ليس كما تطون أيها المتأخرون أنهم يفرقون الفاظ جوارح ليس لها معاني، بل السلف يعرفونها ويعلمون معانيها، ويعتقدون بدلوها، إلا أنهم لا يشبهون الله بخلفه، ولا يعطون أسماء وصفاته، ولا يقولون: إن ظاهر هذه الأسماء والصفات كفر، وأنها تنقض التشبيه، بل يعرفون أنها دالة على صفات حنيفة، {لا أنها ليس كصفات المخلوق، بل هي صفات تليق بالخالق جل وعلا. فقد شبه هؤلاء المتأخرون السلف الصالحين الأيمنين الذين قال الله فيهم: { وَهُمْ أَقْبَلُونَ لِيَبْتَغُوا الْكِتَابَ } وَأَمَّا رَبٌّ وَإِنَّ هُمْ لَا يَتَّقُونَ } {الفرقة: 78}، يعني: إلا تلاوة، والسلف ليسوا كذلك، بل عندهم معرفة وفهم وإدراك للحقائق؛ ولهذا فإنهم -رحمهم الله- فرءوا النصوص التي جاءت، وفهموا معناها، وسبغوا للناس أحسن بيان، ومن قرأ كتاب السلف وأئمة أهل السنة والجماعة عرف ذلك، والضرير على ذلك ملتبس: أحدهما: الإمام أبو عمرو عبد الرحمن الأوزاعي وهو عالم جليل من أهل الشام ممن أدرك التابعين، يقول -رحمه الله- كما والتابعون منواقرن يقول بأن الله فوق عرشه، وتوسم ما جاءت به الآيات من الصفات؛ فهذا دليل على أن أئمة السلف يؤمنون بمدلول هذه الآيات من العلو والوقفة، ويحدها، والثالث: الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك العالم الجليل من أهل حرسان -قال له: لماذا تعرف ربنا؟ فقال -رحمه الله- يعرفه أنه فوق سواته على عرشه، بأن من خلقه كما خلق به، ولا يقول كما تقول الجهمية، وهذا دليل آخر على أن السلف كانوا يؤمنون بمدلول هذه الآيات، وكذلك ما وقع من بعض الأئمة، أما أبي سنعذ بل يزدق كان قد عرف بالزندقة، ثم أظهر التوبة بعد ذلك، لما جاء به لبيسته، قال له: أشهد أن الله على عرشه، بأن من خلقه، فقال ذلك الزندي: أشهد أن الله على عرشه، وأرى ما يأتي من خلفه، فقال: زدود إلى السجن، فإنه لم يبد، وأساء ذلك كثير، فمن بدأ عرف أن طريقة السلف أعلم واحكم، فإنهم يفرقون النصوص ويؤمنون بمعناها، إلا أنهم يبنون عنها التحريف والتشويه، أما الخلف الذين يرجعون إلىهم أعلم واحكم، فهؤلاء أهل الكلام الذين كثر في مسائل الصير لأظهرهم، أولئك المتكلمون الذين أجدوا أو يرتوا علم الكلام عن اليونان وعن الفلاسفة، وأجدوا عن أهل الكتاب وجوههم، ثم دسوا ذلك في الإسلام، ثم تعرفوا وأطالوا البحث في ذلك، فكانت يهانبهم الشك والحريرة والاضطراب، ولهذا قال بعضهم: أكثر الناس شكا عند الموت أهل الكلام ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى ص: 15، لأنه يموت أحدهم وهو على غير عقيدة، روي أن أحدهم دخل عليه بعض العامة وهو على فرائض الموت، فقال: لذلك العامي: ما تعتقد؟ فقال: اعتد أن الله ربى، وأنه على عرشه، وأنه نائب من خلفه، وأنه كذا وكذا. عند ذلك قال له ذلك المتكلم: هنيئا لك، لكني والله ما أرى ما اعتقد؟ وأحد بكرير ويردد فوله: ما أرى ما اعتقد حتى عني عليه ومات وهو لا يدري ماذا يعتقد، ومثله ما نقل عن الحموي صاحب "الزوقات"، أنه قال: لقد حصدت البحر الحزم، وتركت أهل الإسلام وعقولهم، وخصت في الذي يهوس عنه، وأنا إن لم تدركني رحمة ربى فالويل لي، وما أنا ذا أموت على عقيدة أمي أوردته شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى ص: 15، وفي رواية: وما أنا أموت على عقيدة عجائز يعتقد، ومثله ما نقل عن نيسابور: أنه من أهل نيسابور في إيران ومظفر هو جامع الغزالي المشهور صاحب كتاب إحياء علوم الدين، هذا العالم كان في أول أمره مشتتلا بالفلسفة وعلم الكلام، حتى تمكّن ذلك العلم عنه، وفي أواخر حياته أراد التخلص منه فصعب عليه ذلك، عن أنه رد على الفلاسفة في كتاب مطبوع بعنوان (تهافت الفلاسفة)، ولكنه خاص في علم الفلسفة ففي في قلبه سيرة من آثار تلك العلوم التي جاض فيها، ثم قدم فيما بعد على اشتغاله بتلك العلوم، وقد ذكرنا أنه -رحمه الله- مات، وصحیح البخاري على صدره، وبرخو من الله تعالى أن أبو يونس، ومثله أيضا الفخر الرازي صاحب التفسير الكبير المشهور وله أيضا كتاب في العقيدة اسمه "تأسيس القديس" الذي رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب اسمه "نصي الإيسين"، فهذا العالم الكبير المشهور كان قد نحر وتفرغ في علم الكلام، ويحت فيه وجاض بعمارة، حتى وقع فيما وقع فيه من فيله، فيقول: "لقد رأمت الطرق الكلامية، والماجج الفلسفية، فما رأيتها تروي غلابة، ورأيت أقرب الطرق في طريقة القرآن، إقرأ في الإیمان: { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ الْمُنْتَهَى } [معه: 15] { كَلَّ شَرْبُهُ هَالِكٌ لَا يَوقِيهِ } {القمي: 188} وإقرأ في المنى: { أَسْمِنُ كَيْفَةَ شَرِبْتُهُ وَقَوَّ الشَّبِيعَ الْمَصِيرَ } {المنرى: 111} . {وَلَا يَجْعَلُونَ بِي عِلْمًا } [معه: 110] ومن جرب مثل جربتي عزوب مثل معرفتي \* ثم قال: نهيباه إقدام العقول عقابًا وأكثر، شقي العالمن حلال وأرواحنا في وحشة من صومئنا وعابسه ديناأبى أدنى ووسال ولم يتسعد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قبل وفالوا أوردته شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى ص: 15، فعرءنا بذلك أن هؤلاء الذين يرجعون أن طريقة السلف أسلم، وطريقهم أعلم واحكم، أنهم هم أهل الجبرة والملك، وأهل الرب والبر، والبردد، وطريقة السلف هي الجامعة للأصافي كلها، فهي الأسلم والأكمل والأكمل، والسلف -رحمهم الله- هم الذين ورثوا العلم، وورثوا العمل، وورثوا العقائد الصحيحة عن الصحابة والتابعين، فكانت عقائدهم سليمة صافية كما كانت في الكتاب والسنة، وليس العجب ممن هلك بكف كلفه، وأما العجب ممن يتأ بما جفا فعرفنا بذلك أن طريقة السلف هي المتمسك بالحقين، والسير على مهناجهم سواء في القول أو في العمل. ثم طريقهم هي تلك هي المتمصرة، فإنك متى عرفت أهل السنة وعرفت أهل السنة، وأنت تدهده، وتنت عرف الرسل ووطائفيهم، كان نتيجة هذه المعرفة هي إك تعينهم وتسير على بهمهم، ومتى عرفت القرآن حريمته، وأنه منزل من لدن حكيم حديد، كان نتيجة ذلك أنك تتلووه حق تلاوته، وتصق ما جاء فيه من الأخبار السابقة والأخفة وأحكامه، وطريقة السلف هي المتمصرة لسعادة الدارين، أما طريقة هؤلاء فإنها تصعب تصديقهم بالأمور العسية، فيقل أتباعهم بالقرآن والسنة، يقل أعمالهم وأمثالهم لأوامر الله؛ لأن الأعمال تعتمد على العقيدة، فإذا كانت العقيدة راسخة في القلوب، أو أنه أدرك في الجوارح، فعملت بطاعة الله، وبعض رأيت من بعض أهل ويخار بذلك، فإن ذلك يدل على ضعف عقيدته، وأنه ما عرف الله حق معرفته بأنه، ومخلوقاته، ما عرف عظمته من بعضه، ما عرف الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ومكالمه وحلاله وكبرياته وعظمته، ما عرف واعتقد أن الله نيب الطابع ويعذب العامي، أو أنه عرف ذلك ولكنه لم يتحضره، وذلك لضعف عقيدته وضعف إيمانه، فعرفنا بذلك أهمية معرفة العقيدة الصحيحة السلفية عقيدة السلف الصالح، وأن أصحاب هذه العقيدة هم أهل السنة والجماعة، وهم الفرفة الناجية والطائفة المنصورة الفائزة بسعادة الدارين، الناجية من العذاب يوم القيامة، والمنصورة في الدنيا قبل الآخرة، سأل الله تعالى أن يجعلنا منهم، وأن يحشرنا في زميرهم، أنه ولي ذلك والقادر عليه.